المجلد 3 - العدد: الاول - ديسمبر 2024، ص ص 41-69

جماليات التناص في ديوان أغنيات نضالية للشاعر محمد الصالح باوية

The Aesthetics of Intertextuality in the Poetry Collection "Songs of Struggle" by the Poet Mohamed Salah Bouaia.

ط د/ ليلى طبيب، ط د/ نسيمة بلمسعود
Leila Tebib, Nassima Belmessaoud
- مخبر البحث في الدراسات الأدبية واللغوية والتعليمية والترجمة، جامعة جيجل 18000، (الجزائر)،
leila.tebib@univ-jijel.dz
- مخبر البحث في الدراسات الأدبية واللغوية والتعليمية والترجمة، جامعة جيجل 18000، (الجزائر)،
nassima.belmessaoud@univ-jijel.dz

تاريخ الاستلام: 2024/11/18 تاريخ القبول: 2024/11/28 تاريخ النشر: 2024/12/03

ملخص:
يستعرض هذا البحث جماليات التناص في ديوان "أغنيات نضالية" للشاعر محمد الصالح باوية، حيث يستخدم الشاعر التناص بمهارة من خلال التناص التاريخي والتراثي والديني لتشكيل تجربة شعرية غنية ومتعددة الأبعاد. تكمن أهمية الدراسة في تسليط الضوء على كيفية توظيف باوية لهذه الأشكال من التناص لخلق معانٍ عميقة تتراوح بين الماضي والحاضر، مما يعكس قراءته الحداثية للتراث وتوظيفه بأسلوب معاصر. تظهر النتائج أن التناص في ديوان باوية يساهم في تجديد القصيدة الحرة من خلال

دمج الأصالة بالحداثة، مما يفتح أفقًا جديدًا لفهم الشعر الجزائري المعاصر. كما يبرز البحث كيف يعزز التناص قدرة الشاعر على خلق روابط رمزية ومجازية غنية، مما يعكس التجديد الفني والفكري في نصوصه. الدراسة تساهم في توسيع الفهم النقدي لتوظيف التناص في الشعر العربي المعاصر، وتؤكد على دوره في تطوير أسلوب القصيدة الحرة وتحديثها.
كلمات مفتاحية: التناص، أغنيات نضالية، محمد الصالح باوية، الحداثة، التراث، القصيدة الحرة.

Abstract:
This research explores the aesthetics of intertextuality in the poetry collection "Struggle Songs" by the poet Mohamed Salah Bouaia. The poet skillfully employs intertextuality through historical, heritage, and religious references to create a rich and multidimensional poetic experience. The significance of the study lies in highlighting how Bouaia utilizes these forms of intertextuality to generate profound meanings that bridge the past and the present, reflecting his modern reading of heritage and its contemporary application. The findings indicate that intertextuality in Bouaia's collection contributes to the renewal of free verse poetry by merging authenticity with modernity, thus opening a new horizon for understanding contemporary Algerian poetry. The research also emphasizes how intertextuality enhances the poet's ability to create rich symbolic and metaphorical connections, reflecting artistic and intellectual renewal in his texts. The study contributes to expanding the critical understanding of the use of intertextuality in contemporary Arabic poetry

and underscores its role in developing and modernizing the style of free verse poetry
Keywords:Intertextuality, militant songs, Mohamed Salah Bouaia, modernity, heritage, free verse.

مقدمة:

يعد التناص إحدى أهم الأدوات الجمالية التي تسهم في تطوير النص الشعري الحديث، لا سيما في الشعر الحر الذي فتح آفاقاً جديدة للشعراء للتعبير عن رؤاهم بطريقة مغايرة للتقاليد الكلاسيكية؛ فالشعر الحر بمرونته وانفتاحه على التجريب، يتيح للشاعر فرصة استلهام النصوص القديمة والحديثة والتفاعل معها بأساليب مبتكرة، مما يؤدي إلى خلق نص جديد ينبض بالحياة من خلال تعدد الأصوات وتداخل الأفكار. هنا يأتي التناص ليشكل ميداناً خصباً للتجديد، حيث يتمكن الشاعر من تجاوز الحدود التقليدية للكتابة وتوظيف موروثه الثقافي والأدبي في سياقات معاصرة.

في هذا الإطار، تأتي تجربة الشاعر محمد الصالح باوية ضمن حركة التجديد في الشعر الحر الجزائري، حيث يعتمد التناص بوصفه أداة فنية فاعلة تتيح له بناء نصوص شعرية تفاعلية ترتبط بجذور التراث العربي الإسلامي والمحلي وتتجاوزها في الوقت ذاته نحو آفاق الحداثة والتجريب. ويعكس ديوانه تمازجاً واضحاً بين التراث والابتكار، حيث تتداخل فيه الأصوات والرموز والدلالات بطريقة تضفي على النصوص بعداً جمالياً متجدداً، يسهم في تشكيل هوية شعرية تجمع بين الأصالة والمعاصرة.

بناء على ما سبق تنطلق هذه الدراسة من إشكالية محورية تتعلق بكيفية توظيف محمد الصالح باوية للتناص في إطار سعيه للتجديد في الشعر الحر. فما هي الأشكال التناصية التي استثمرها

باوية في ديوانه، وكيف أسهمت في تقديم تجربة شعرية مغايرة؟ وهل نجح في توظيف التراث والأدب ضمن قالب حر مفتوح على الحداثة دون الوقوع في التقليدية؟ وكيف تتجلى هذه الأبعاد الفنية في أعماله؟

كما تهدف هذه الدراسة إلى:

- تحليل تجليات التناص في ديوان مُحَمَّد الصالح باوية وتحديد أنماطه الفنية.
- دراسة دور التناص في عملية التجديد الشعري داخل النصوص الحرة.
- تسليط الضوء على علاقة التناص بتشكيل بنية النص الشعري الحر وإسهامه في خلق جماليات جديدة.

ولكي يحقق البحث أهدافه المرجوة اعتمدنا على الدراسة الفنية للكشف عن تجليات الصورة الشعرية وجمالياتها في مدونة الدراسة.

I. التناص: المفهوم والأنواع

1. مفهوم التناص:

يُعدُّ مفهوم التَّناصّ أحد المصطلحات المحورية في الدراسات النقدية، ويُشير إلى التفاعل بين النصوص المختلفة بحيث تتداخل وتتفاعل لتُنتج نصًا جديدًا. يسلط هذا المفهوم الضوء على العلاقة الديناميكية بين النصوص، موضحًا كيف يمكن لنصٍّ أن يكون جزءًا من حوار مستمر مع نصوص سابقة أو معاصرة، مما يُبرز تأثيرها المتبادل في بناء المعاني واستحداث مضامين جديدة.

تطوَّر مفهوم التناص بشكل ملحوظ على يد الباحثة جوليا كريستيفا في ستينيات القرن العشرين، وهي التي صاغت مصطلح "التناص". وفقًا لرؤيتها: **«كل نصٍّ يتشكَّل من تركيبة فسيفسائية من الاستشهادات، وكل نصٍّ هو امتصاص أو تحويل لنصوص أخرى.»**(الزعبي، 2000، صفحة 12) هذا الفهم يُبرز كيف أن النصوص ليست كيانات معزولة، بل هي في حالة تفاعل مستمر مع ما

سبقها من إنتاج أدبي وفكري، مما يمنحها طابعًا ديناميكيًا متجدّدًا.

استفاد رولان بارت من مقاربة كريستيفا وأعاد النظر في مفهوم التناص، حيث عرّفه بقوله: **«نسيج من الاقتباسات والإحالات والأصداء من اللغات الثقافية السابقة أو المعاصرة التي تخترقه بالكامل»**(بوراس، 2023، صفحة 293). وعلى الرغم من أن مصطلح التناصّ لا يواجه إشكاليات تُذكر في تداوله بين نقاد الغرب، إلا أنه أثار أزمة مصطلحية عند انتقاله إلى الساحة النقدية العربية. فقد شهد استخدامه نوعًا من الفوضى في تحديد المصطلحات وتعريفها، حيث تعددت المسميات التي حاولت توصيفه، مثل: التعالقات النصية، المتعاليات النصية، النص المفتوح، النص الغائب، والتفاعل النصي، مما أضاف تعقيدًا في استيعاب المفهوم في السياق العربي.

تناول مجموعة من النقاد العرب، مثل محمد مفتاح، وسعيد يقطين، ومحمد عزام، وعبد المالك مرتاض، وغيرهم، مفهوم التناص بتفصيل واستفاضة، حيث قدّموا شروحًا معمقة لهذه الظاهرة النقدية. ومع ذلك، فإننا في هذه الدراسة لن نتوقف عند هذه المقاربات بشكل مفصل، نظرًا لضيق المجال وعدم اتساع المقام للخوض في شرحها بشكل مطوّل. إضافةً إلى ذلك، فقد سبقنا العديد من الباحثين في دراسة هذه المفاهيم وتوضيحها، مما يعفينا من تكرار ما تم إنجازه بشكل وافٍ.

2. أنواع التناص:

يتنوع التناص في الأدب ويتعدد من حيث المصادر والمشارب، إذ يتعالق النص الواحد مع نصوص سابقة متنوعة مثل النصوص التاريخية، والدينية، والأدبية، ولقد قام النقاد والدارسون بتصنيف هذه التناصات إلى أشكال ومصادر مختلفة، بهدف الكشف عن تميز الأدباء في توظيفهم اللفظي والدلالي لأعمال سابقة في أعمالهم الجديدة؛ فبعض الأدباء يتناص مع القصص والروايات التاريخية، وبعضهم الآخر يتعالق مع

النصوص الدينية والمعتقدات المقدسة، فيما يستلهم آخرون من النصوص الشعرية أو الأدبية السابقةكذلك، تلعب الأسطورة دورًا مهمًا في فضاءات النصوص الأدبية المعاصرة، نظراً لما تحمله من تكثيف وإيحاء كبيرين، مما جعلها واحدة من أبرز الأدوات الشعرية التي يعتمد عليها الكتاب في هذا العصر.

أ التناص التاريخي: المادة التاريخية تمثل جزءًا هامًا من المعرفة لدى الشاعر، إذ يجب أن يكون ملمًا بمختلف الثقافات والأفكار، هذا الاطلاع يمنحه الثراء الدلالي مما يتيح له استغلال المعطيات التاريخية للتعبير عن قضاياه الخاصة،وبالتالي استحضار التاريخ في الأدب وخاصة في الشعر يخلق ارتباطًا دلاليًا بين الماضي والحاضر، مما يمنح النصوص قوة وتماسكًا. فالتناص التاريخي إذن هو:« **ذلك التناص النابع من تداخل نصوص تاريخية مختارة ومنتقاة مع النص الأصلي للقصيدة، وتبدو مناسبة ومنسجمة مع التجربة الإبداعية للشاعر، وتكسب للعمل الأدبي ثراءً وارتفاعًا»**(الدهون، الأردن2009، صفحة 201)لذا فالتناص التاريخي يعزز فهم القارئ للنص من خلال الربط بين الحاضر والماضي، مما يمكن أن يساهم في خلق رؤية أعمق للقضايا المطروحة أو تسليط الضوء على تشابهات بين فترات زمنية مختلفة.

ب التناص الديني: التناصات مع النصوص الدينية كالقرآن والحديث والتوراة والإنجيل شائعة في الشعر القديم والحديث، تُستخدم لنقل الدلالات بشكل مكثف وإيصال رسائل أكثر إقناعاً في القصائد المعاصرة.« **ويعني التناص الديني استحضار الشاعر بعض القصص أو الإشارات التراثية الدينية وتوظيفها في سياقات القصيدة لتعميق رؤية معاصرة يراها في الموضوع الذي يطرحه أو القضية التي يعالجها. ويفترض في هذه التناصات أن تنسجم مع النص الجديد وتعمقه وتثريه فنيا وفكريا»**(الزعبي، 2000، صفحة 131)التناص الديني في الشعر يظهر بأشكال ومصادر متنوعة تتأثر بخلفية الشاعر الدينية وثقافته الواسعة، بالإضافة إلى انتمائه الإيديولوجي

والحضاري، مما يؤثر على طريقة تفاعله الشخصي مع المواضيع الدينية في أعماله الشعرية.

ج التناص الأدبي: الموروث الأدبي والثقافي سواء في النثر أو الشعر أو الحكم والأمثال، يعد مصدرًا غنيًا يستفيد منه الأدباء لصقل مواهبهم وإثراء تجربتهم الأدبية وهم يتفاعلون مع النصوص القديمة، سواء كانت عربية أو غربية، مما يغني إبداعاتهم بالأفكار والأساليب التي يستمدونها من هذا التراث الغني. وهذا النوع من التناصات يقصد به: «**تداخل نصوص أدبية مختارة، قديمة وحديثة، شعرا أو نثرا مع النص الأصلي بحيث تكون منسجمة وموظفة ودالة قدر الإمكان على الفكرة التي يطرحها المؤلف أو الحالة التي يجسدها ويقدمها**»(الزعبي، 2000، صفحة 20)

II. تمظهرات التناص في ديوان أغنيات نضالية:

1) التناص التاريخي:

التُراثُ التَّاريخيُّ غنيٌّ بالأحداثِ والرُّموز والشخصيّاتِ التي كان لها تأثيرٌ واضحٌ في تغيير ونهوضِ الأممِ، خاصّةً الأمّةُ العربيّةُ التي تتميّزُ بارتباطِها العميقِ بتاريخِها، حيث تجدُ فيه أمجاد الماضي وبطولاتِ شخصيّاته، ممّا يعزّز شعورَها بالفخر والاعتزاز. ويعبّر عبدُ الإله بلقزيز عن هذه الحالةِ بقوله: «**سؤالُ التّراثِ يعظُمُ أمرُه، ويتضخّمُ أكثرَ في حالةِ الثّقافاتِ المكتنزةِ بالتّاريخِ وفي مجتمعٍ يتنفّسُ التّاريخَ كالمجتمعِ العربيّ الإسلاميّ**»(بلقزيز، 2014، صفحة 22)يعودُ هذا إلى تضخّمِ الذّاكرةِ العربيّةِ والاستمراريّةِ التّاريخيّةِ في الدّين والهويّةِ واللّغةِ والأعرافِ والقيمِ.

ونحن بدورنا حاولنا استخراج ما ورد من تناصات في ديوان أغنيات نضالية للشاعر محمد الصالح باوية؛ وقد جاءت على النحو التالي:

أ التناص مع الأحداث التاريخية

❖ ثورة نوفمبر

لم يتأخر الشعر في مواكبة الثورة العظيمة منذ انطلاقتها المجيدة، فقد ظل الشاعر لسنوات طويلة يحلم بها ويتطلع إليها، وعندما بزغ فجرها المشرق احتضنها بقوة، مستلهمًا من ملحمتها الخالدة دروسًا عظيمة، فانفتحت أمامه آفاق جديدة لم يكن ليحلم بها لولا تلك التضحية بالنار والدم والحديد نتيجة لذلك، تفجرت إلهامات الشعراء بقصائد نابضة بروح الثورة، أبياتها مشتعلة بالحماس، كلماتها مضيئة كالنور ونارية كاللهب، وإيقاعها عنيف وقوي، ساعية دائمًا إلى مواكبة دوي الرصاص وزخم المعارك.

ويُعد الشاعر مُحَمَّد الصالح باوية واحدًا من أولئك الشعراء الذين احتضنوا الثورة بقوة، حيث عبّر عن الوطن والثورة التحريرية بروح مشابهة لتلك التي ميزت شعراء الجزائر الذين عايشوا هذا الحدث الثوري الكبير؛ فقد مكنته قدراته الشعرية من التعبير بعمق عن الثورة، وتجلت في شعره مشاعر قوية بالانتماء والالتزام تجاهها. من بين قصائده تبرز **"ساعة الصفر"**، التي أشار فيها إلى لحظة انطلاق ثورة أول نوفمبر 1954، على الرغم من أنه نظم القصيدة في عام 1958، أي بعد أربع سنوات من اندلاع الثورة. و من خلالها يظهر التعالق النصي مع التاريخ متمثلا في حدث تاريخي مهم وحاسم في تاريخ الجزائر ألا وهو ثورة التحرير المباركة، وذلك على منحنين مباشر متمثلا في المناص الذي أفرد له الشاعر عبارة "ليلة أول نوفمبر"، ويظهر التناص التاريخي المشير لحرب التحرير أيضا في عنوان القصيدة" ساعة الصفر" والتي تحيل إلى التوقيت الزمني لانطلاق الثورة وذلك في تمام منتصف الليل، كما يظهر التفاعل النصي مع هذا الحدث التاريخي، بشكل غير مباشر في متن القصيدة والتي يقول فيها الشاعر(باوية، 2008، صفحة 49):

الـمَدَى وَالـصَّمْتُ وَالـرّيحُ

تـذْري رَهْبَةَ الأَجْيـالِ فِـي تِـلْكَ الـدَّقِـيقَـةِ

قطَرَاتُ الـعَرَقِ الـبَـانِـي نِـدَاءٌ

وَسَلالٌ مُـثَـقَّلاتٌ بِـالـحَقِـيقَـةِ

الأَسَـاريـرُ أَخَـادِيـدُ مَـطِـيـرَةٌ

ثَـوْرَةٌ خَـرْسَـاءُ

أَهْوَالٌ مُـغَـيّـرَةٌ

لـوْنُ عُـمقٍ يَـتَـحَدَّى فِـي جَـزيـرَةٍ

يـتجلى الـتـنـاص الـتـاريـخي فـي هـذا الـمقطع مـن خلال الإشارات الـواضحة إلـى ثـورة نـوفـمبر، حيث تـستدل بـعض الألـفـاظ على سيـاق الـحدث الـتـاريـخي على سبيـل الـمثـال، تـشيـر كـلمة "الـصمت" إلـى الـفـتـرة الـتـي اخـتـارهـا الـثـوار بـعنـايـة وخططوا لـتـفـجيـر الـثـورة خلالـهـا، حيث سـاد الـهـدوء بـيـنـمـا كـان الـنـاس نـيـامًـا، وهـو صمت يـسبق الـعـاصفـة ويـثـيـر الـريـبـة كـذلـك، تـعـبـر كـلمة "الـدقـيقـة" عن الـلـحظة الأخيـرة مـن الـيـوم الـسـابـق والـلـحظة الأولـى مـن الـيـوم الـتـالـي، وهـي الـلـحظة الـزمـنـيـة الـتـي انـطلقت فـيـهـا الـثـورة. كـمـا تـتـضح الإشارة إلـى الـثـورة فـي عـبـارتـي "ثـورة خرسـاء" و"أهـوال مـغـيـرة"، مـمـا يـعـزز الـربـط بـيـن الـنـص والـحدث الـتـاريـخي.

ثـم يـواصل الـشـاعـر مـتـفـاعـلا مـع الـحدث الـتـاريـخي قـائـلا (بـاويـة، 2008، صفـحة 50):

..وَإِذَا رَعْدُ الـشِّقَـاهِ الـسُّودِ

يَـرْمِـي طَـلْقَـةَ الـصَّفْـر، فَـتَـنْسَـابُ الـدَّقِـيقَـةْ

..وَإِذَا الـبَـارُودُ عَـرْبَـدَ

وَالذُّرَى حَوْلِي تُرَدِّدُ:

سَاعَةُ الصِّفْرِ انفِجَارَاتٌ عَمِيقَةٌ

يَقْظَةُ الإِنسَانِ، مِيلادُ الحَقِيقَةِ

يتجلى التعالق التاريخي مع عبارة "ساعة الصفر" في الإشارة المباشرة إلى لحظة انطلاق ثورة نوفمبر 1954، وهي اللحظة الحاسمة التي تم التخطيط لها بعناية لتنطلق الثورة في جميع أنحاء الجزائر، وعبارة "انفجارات عميقة" التي تستدعي في ذهن القارئ صورة المتفجرات التي دوت في مناطق الجزائر الثورية بشكل متزامن، مما يبرز التنظيم والوعي الثوري الذي ساد تلك اللحظة التاريخية.

أما عبارتي "يقظة الإنسان" و"ميلاد الحقيقة" فتشيران إلى الصحوة الفكرية والسياسية لدى الإنسان الجزائري، التي ارتبطت بإدراكه لحتمية الكفاح والمقاومة ضد الاستعمار الفرنسي. هذه العبارات تعكس أيضًا التحول الداخلي الذي عاشه الجزائريون، إذ أدركوا أن عليهم النهوض والمقاومة لاستعادة أرضهم، وأن الحقيقة الجديدة التي وُلدت مع الثورة هي حقيقة الحرية واستقلال الجزائر.

❖ مشروع الوحدة العربية بين سوريا ومصر سنة 1958

لم يقتصر اهتمام الشاعر مُحَمَّد الصالح باوية على القضايا الوطنية فقط، بل امتد اهتمامه ليشمل القضايا العربية القومية، إذ كان يعتبر نفسه جزءاً من الأمة العربية ومخلصاً لقضاياها. ومن أبرز هذه القضايا التي تفاعل معها قضية الوحدة بين سوريا ومصر عام 1958، حيث عبّر عن هذا الحدث التاريخي في قصيدته المعنونة ب**"الإنسان الكبير."**

يتجلى التناص التاريخي المباشر في القصيدة من خلال المناص الذي اختاره الشاعر "أعراس الوحدة بين

مصر وسوريا 1958"، حيث يظهر تفاعل الشاعر مع الحدث القومي؛ ويعكس هذا المناص مباركة الشاعر وتقديره لهذه المبادرة التاريخية، مما يعكس تأييده واحتفائه بوحدة الأمة العربية.

يقول الشاعر باوية احتفاء بهذه الوحدة قائلا: (الديوان، صفحة 57)

قالَ شَعْبِي يَوْمَ وَحَّدْنا المَصِيرَ

أَنا إِنسانٌ كَبِيرٌ

يَا جِرَاحِي

أَوْقِفِي التَّارِيخَ، إِنَّهُ نبْعُ تاريخٍ جَدِيدٍ

أَوْقِفِي التَّارِيخَ يَجْنِي غَلَّتِي عَبْرَ دِمَشْقَ وَالصَّعِيدِ

يتداخل هذا المقطع بشكل وثيق مع حدث وحدة مصر وسوريا وأثره العميق على الشعوب العربية، خصوصاً بين طرفي الاتحاد، مما يزيد من متانة الروابط ووحدة الأمة؛ فقد أشار الشاعر إلى هذا الحدث التاريخي من خلال عبارته "وحدنا المصير"، مؤكداً بذلك على أهمية الاتحاد والتضامن بين البلدين؛ كما يشير الشاعر إلى توقيع اتفاقية الوحدة العربية بوصفه كتابة جديدة للتاريخ العربي، تلك الكتابة التي تقوم على أسس الاتحاد واحترام مصلحة الشعبين. كما يبرز الشاعر أيضاً أن ثمار هذا التحالف ستعود بالنفع على كلا البلدين. وسليط الشاعر الضوء على الأبعاد التاريخية لهذا الحدث، مشيرا إلى مدينتين تاريخيتين بارزتين، هما دمشق والصعيد، مما يعكس ارتباطه العميق بالثقافة والتاريخ العربي.

❖ أزمة قناة السويس

في 29 أكتوبر 1956، وقع اعتداء مسلح على مصر من قبل تحالف مكون من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل،

فيما عرف بالعدوان الثلاثي. وكان جمال عبد الناصر، رئيس مصر آنذاك، أحد أبرز قادة القومية العربية والمناهضين للاستعمار والإمبريالية العالمية والصهيونية. وقد قام عبد الناصر بتأميم قناة السويس في 26 يوليو 1956، ما أثار غضب الدول الغربية المذكورة، التي رأت في هذا الإجراء تهديداً لمصالحها. لذا، جاء هذا الاعتداء كتحذير شديد اللهجة من القوى الغربية لسياسة جمال عبد الناصر التي كانت تسعى إلى التخلص من التبعية الأجنبية وتحقيق الاستقلال الاقتصادي لمصر، بما في ذلك التحكم الكامل في قناة السويس.

وتجاوب الشاعر مُحَمَّد الصالح باوية مع هذا الحدث التاريخي القومي المأساوي؛ بقصيدة عنونها ب" **التحدي**" مدينا هذا العدوان بلغة مشفوعة بالتحدي، ولقد أشار لهذا الحدث بتناص مباشر انطلاقا من المناص الذي عنونه ب"معركة القناة 1956" ويقول في هذه القصيدة (الديوان، صفحة 45):

أَتحَدَّى، أَتحَدَّى، بِزَمَانِي، بِوُجُودِي.. فِي قنَاتِي أَتحَدَّى

قُوَّة الجَبَّار فِي الأَرْضِ وَفِي الجَوّ وَفِي البَحْر وَأَيَّانَ اسْتَبَدَّا

لا وَعِيدًا. لا حَدِيدًا، لا جُيُوشًا تَوَقِفُ الإِعْصَارَوَالنَّصْرُ المُفَدَّى

أَتحَدَّى عَاصِفَاتٍ زَرَعَتْ أَرْضِي خَرَابَاتٍ وَعَدَاوَاتٍ وَحِقْدًا

تبرز في القصيدة مظاهر التناص مع أزمة السويس من خلال استخدام الشاعر للفظة "قناتي" مضافة بياء الملكية، رغم أن الشاعر ليس مصريًا؛لكن يعكس هذا الاستخدام الروح القومية العميقة لدى الشاعر، حيث يُظهر أن ما يصيب مصر يمس كل العرب، باعتبار مصر رمزًا للوحدة العربية في ذلك الزمن، كما أن اختيار

الشاعر للفظة "الجبار" على صيغة المبالغة، وهي من أسماء الله الحسنى، يُعبر عن شدة العدوان، الذي لم يأتِ من عدو واحد بل من ثلاثة أعداء معروفين بقوتهم السياسية وجبروتهم العسكري. إضافة إلى ذلك، استعار الشاعر لفظتين من مثل "الإعصار" و"العاصفات"، لتحيل إلى قوة العدوان وبطشه، لكنه يشدد على أنه كلما زاد العدوان وحشيته، ازداد الشاعر قوة وتحديًا.

يلجأ الشاعر إلى التفاعل مع الأحداث والشخصيات التاريخية في محاولة لإحيائها ومنحها بُعداً معاصراً، مما يعزز النص ويجعله حياً. هذا النهج يضمن استمرار النص عبر الزمن، حيث يبني جسوراً تاريخية تربط بين الماضي والحاضر، مما يساعد القارئ على فهم ذاكرة الأمة وتاريخ الشعب. بهذا الأسلوب، يحفز الشاعر القارئ على الانفتاح على السياق التاريخي، ليزيل عنه غبار الزمن ويعيش التجربة من جديد بقراءة معاصرة.

ب الشخصيات التاريخية

لم يستدع الشاعر باوية كثيرا من الشخصيات التاريخية سوى شخصية رفيقه وابن منطقته- المغير- وهو شهيد المنطقة البشير بن خليل، والذي خصص له قصيدة كاملة يرثيه فيها بعنوان" في الواحة شيء" وقد دل المناص على أن هذه القصيدة موجهة إلى الشهيد" إلى صديقي الشهيد البطل البشير بن خليل" والتي يقول فيها (الديوان، صفحة 91):

يَا مَاسِكُ الأَسْرَار وَالمَوْتِ..

وَيَا قَافِلَةَ الإِلْهَامِ فِي الحَيِّ الجَمِيلِ

يَا حَبَّةَ القَلْبِ.. وَيَا عُمْري الطَّوِيلِ

يَا غَلَّةً

تَنْدَاحُ فِي الرَّمْلِ.. وَفِي قَحْطِ الخَلِيلِ

أَنهِي إِلَيْكَ

أَلفَ سَلامٍ

أَلفَ مَوَالٍ.. وَحَرْفٍ.. وَخَبَرِ

مِنْ قَبْضَةِ الفَأْسِ المَعْنَى..

تَزْرَعُ الوَاحَةَ مَرْجًا وَقَمَرًا

هذا النص الشعري يعكس روح الحزن الممزوجة بالفخر، ويحمل طابعاً رمزياً غنياً يعبر عن رثاء شهيد من الجنوب الجزائري. أين نجد الشاعر يربط الشهيد بعناصر من الطبيعة الصحراوية مثل "الرمل" و"الواحة"، مما يعزز العلاقة العميقة بين الشهيد وبيئته. هذه العناصر ليست مجرد خلفية، بل تصبح جزءًا من هوية الشهيد ورمزًا لامتداد تأثيره في المكان الذي ينتمي إليه.

يواصل الشاعر باوية رثائه لصديقه الشهيد قائلا(الديوان، صفحة 95):

أم الشَّهِيدِ...

لا تُصَدِّقُ أَنَّهُ استُشهِدَ، وَلا تعرفُ أَيْنَ؟

لا تُصَدِّقُ أَنَّهُ لن يَرجِعَ، وَأَنَّهَا لتَنتَظِرُ...

في هذا السياق، يمكن فهم شخصية الشهيد كرمز للتضحية التي تترك أثرًا لا يُمحى في حياة من حوله، وخاصة الأم التي تصبح هنا رمزًا للصبر والقوة في وجه المصيبة. وعدم تصديقها لاستشهاد ابنها يعكس إنكار الفقدان ورغبتها الملحة في إعادة الماضي أو تغيير الواقع، مما يُظهر التعلق بالأمل المستحيل رغم الحقائق المؤلمة.

والانتظار الذي تعيشه الأم، رغم علمها بأنه قد لا يعود، يمثل أيضًا بعدًا رمزيًا للوفاء والتمسك بالذكرى هنا، الشهيد يظل حاضرًا في قلبها وعقلها، وكأن غيابه الجسدي لم يلغِ وجوده المعنوي. كما أن هذه الأبيات تجسد فكرة الخلود التي يحملها الشهيد، فهو وإن رحل عن الدنيا، يبقى حيًا في الذاكرة والوجدان، والأم تجسد هنا دور حارس الذاكرة والحب الذي لا يموت.

2) التناص التراثي

يتسم الديوان بقدر كبير من **التفاعلمعالتراثالشعبي** المحلي والبيئة الصحراوية، مما يمنح النصوص عمقًا ثقافيًا وروحيًا، ويجعلها تعبر بصدق عن الهوية الوطنية والروح المقاومة لشعب الجزائر. ويُعتبر التراث الشعبي والبيئة الصحراوية في ديوان باوية ليسا مجرد خلفية مكانية، بل هما **مكونانرئيسيانيعكسانصمود الشعبالجزائريفيمواجهة الاستعمار** والتحديات السياسية والاجتماعية.

يقول باوية في قصيدة **(الشاعر والقمر)**: (الديوان، صفحة 58)

قَدْ صِيَاحَ قَلْبِي لِأَنْسَامِ النَّخِيلِ

تَرْقُصُ الأَطْفَالُ فِي صَفْوِ الأَصِيلِ

لِخُشُوعِ الوَاحَةِ الصَّافِي الجَمِيلِ

لِضَجِيجِ الرَّكْبِ فِي يَوْمِ الرَّحِيلِ

لِحَدِيثِ الشَّيْخِ عَنْ زَيْدِ الهِلَالِي

وَالصَّبَايَا حَوْلَهُ مِثْلَ الهِلَالِ

يَتَزَاحَمْنَ عَلَى فَيْضِ الخَيَالِ

وَلَقَدْ وَسَّدْتُ لَيْلَى بِنْتَ خَالِي

وَاحْتِنِيذِنِي لِابْتِهَالاتِ السَّوَاقِي

يظهر التناص التراثي في القصيدة عبر استحضار الشاعر لعناصر من التراث الشعبي الصحراوي، مثل "حديث الشيخ عن زيد الهلالي" الذي يمثل رمز البطولة والشجاعة في الحكايات الشعبية، بالإضافة إلى صور مثل "ابتهالات السواقي" و"أنسام النخيل"، التي تعكس التراث الزراعي والحياة اليومية في الواحة. هذه العناصر التراثية تدمج الماضي بالحاضر، مما يمنح القصيدة عمقًا ثقافيًا ويؤكد على الارتباط الوثيق بالبيئة الصحراوية وتقاليدها، ليصبح التراث جزءًا من الهوية الشعرية والوجدانية للشاعر.

التراث الشعبي في البيئة الصحراوية يشكل جزءًا جوهريًا من الهوية الثقافية، فهو يعكس الحياة اليومية والتقاليد والقيم الموروثة عبر الأجيال. عند الحديث عن التناص التراثي في النصوص الشعرية، يُستخدم التراث الشعبي كأداة لاستحضار الماضي وربطه بالحاضر، مما يعزز من عمق التجربة الشعرية. فيما يلي أهم مظاهر وفنون التراث الشعبي في البيئة الصحراوية:

في البيئة الصحراوية، تُعتبر القصص الشعبية وسيلة أساسية لنقل المعرفة والقيم. من أبرز هذه القصص حكايات الأبطال التاريخيين مثل "زيد الهلالي"، الذي يمثل رمزًا للبطولة والشجاعة. تتناص مثل هذه الحكايات في الشعر لتعبر عن روح البطولة والفخر في الثقافة الصحراوية.

تلعب الأغاني دورًا مهمًا في التراث الصحراوي، حيث يتم إنشادها في المناسبات المختلفة مثل الأعراس والمناسبات الدينية أو حتى أثناء العمل الزراعي مثل سقي النخيل. في الأبيات يشير الشاعر إلى "ابتهالات السواقي"، وهي رمز للأغاني التقليدية

المرتبطة بالزراعة وطقوس الحياة اليومية في الواحة.

ويواصل الشاعر في القصيدة نفسها قائلا(الديوان، صفحة 87):

وَالقَنَادِيلُ عَلَى رَفِّ الخَمِيرَةِ

وَقَدَاحُ الشَّايِ، تحكي لِلْحَصِيرَةِ

قِصَّةً شَيِّقَةً مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ

وَشَدَا القَهْوَةِ جِماعُ العَشِيرَةِ

التناص التراثي هنا يتمثل في العناصر التالية:

القناديل على رف الخميرة: إشارة إلى البساطة والحياة التقليدية في المنازل الريفية، حيث تمثل "الخُميرة" جزءًا من الطقوس اليومية المرتبطة بالخبز والتحضير المنزلي.

قداح الشاي: الشاي في الثقافة الصحراوية ليس مجرد شراب، بل هو رمز للجلسات الجماعية، الحكمة، والسمر. هنا يحكي "للحصيرة" قصة شيقة، مما يعزز من فكرة المجلس التقليدي كمركز للسرد والحكايات، مثل قصص "ألف ليلة."

شدا القهوة جماع العشيرة: القهوة تمثل رمزًا للكرم والتواصل الاجتماعي في التراث العربي، حيث يجتمع أفراد العشيرة لتبادل الحديث، مما يربط التراث بالعلاقات الاجتماعية.

يضيف الشاعر باوية ملمحا آخر للتراث الشعبي المتمثلة في أغاني الطفولة التي كان يرددها الاجداد لكي ينام عليها الصبية، إضافة إلى الحكايات الشعبية البطولية؛ يقول الشاعر مستحضرا

هذا الجو محملا بمشاعر الحنين لهذه الأجواء الحميمة (الديوان، صفحة 38):

...وَتمْضِي السَّنُونُ
وَأَذْكُرُ جَدِّي
يَنُومُنَا بِأَغَانِي الطُّفُولةِ
وَتتَسَلُّ مِنْ شَعْرِهِ الأَبْيَضِ
كُنُوزَ الحِكَايَاتِ... ذِكْرَى البُطُولةِ
وَتضْحِيَةِ الفَارِسِ الأَسْمَرِ
بِاللَّيْلَةِ حُبِّ
فَيَهْزِمُنَا الشَّوْقُ يَا طِفْلَتِي
وَيَعْتَصِمُ الحُبُّ بِالثِّقَةِ
بِكُلِّ حِكَايةٍ

يعكس هذا المقطع ملامحا من التناص التراثي متمثلة في أغاني الطفولة التي كان يُغنى بها للأطفال في الماضي، وهي من التراث الشعبي الذي يحاكي البراءة والحنان، هذا التناص يعكس التراث الشفهي الذي كان يورث من جيل إلى جيل، ويذكرنا بالأغاني الشعبية التي كانت تُنشد للتهدئة والتسلية، كما كانت تمثل الدفء والحماية التي يقدمها الجد، وهو الذي يمثل الأبوة أو الدور الرعائي ويشير هذا التناص أيضا إلى الانتماء إلى الجذور والتراث البسيط الذي يعيد الحياة إلى الطفولة برغدها وسهولته.

ويشمل المقطع نفسه رموزا تراثية كالشعر الأبيض الذي لا يعتبر مجرد وصف مادي للجد، بل يشير إلى رمزية الحكمة والتجربة التي تراكمت عبر السنين. ويمثل أيضا الزمن الطويل والذاكرة التراثية التي لا تموت.

يتحدث المقطع الشعري السالف الذكر على القصص الشعبية البطولية التي تعبر عن الذاكرة السردية الشعبية فالبطولة والتضحية تشيران إلى القيمة البطولية التي تجسدها الأساطير والحكايات الشعبية، مثل تلك التي تروي عن الفوارس والشجعان الذين قدموا التضحيات في الحروب والمعارك. **و**الفارس الأسمر يمثل الرمز التقليدي للشجاعة والتضحية في التراث العربي. ويشير إلى البطولات التي كانت

تسطرها الأساطير عن الفارس الذي يقدم حياته في سبيل قضية نبيلة.

كما استدعى الشاعر عناصر أخرى من الموروث الشعبي متمثلة في الأسطورة الشعبية التي استدعاها في قصيدة (في الواحة شيئ) والتي يقول فيها (الديوان، الصفحات 93-94):

وَصادَنِي
ما صادَها

ما صادَها.. مَرْضَى الهَوَى

مَرْضَى الهَوَى مَالَ دَوَاءُ

مِنْ حُبِّ الرِّيْمِ المُغَنْجِ

وهي أسطورة شعبية من منطقة المغير والتي تحكي عن: **« عاشقين منعتهما الظروف الاجتماعية من الزواج، فخرجا ذات ليلة خفية من قرية المغير ثم وجدا ميتين على بعد 3 كلم ومعهما هذه الأغنية الشعبية، وهناك دفنا حيث نبتت نخلتان على قبرهما.. والنخلتان توجدان فعلا اليوم»**(باوية، 2008، صفحة 94)

نستطيع القول أن محمد الصالح باوية قد جسّد بشكل بارز المنهج الأسطوري في شعره، وخاصة في قصيدته *"في الواحة شيء."* فقد استخدم الأسطورة الشعبية بطريقة موفقة، مما جعل القارئ يشعر بنبض الحياة الجزائرية المحلية المستمدة من التراث الشعبي. من خلال هذه القصيدة وغيرها من أعماله الأخيرة، أضفى باوية على شعره طابعًا مميزًا وخصوصية فريدة، حيث بدا شعره وكأنه يعكس واقعًا قريبًا من القارئ، مما يعزز الشعور بأن هذه الأعمال تعبر عن تجربته الذاتية والوجدانية (ناصر، 2006)

التناص في هذه الأبيات يعيد إحياء عناصر من التراث الصحراوي، ويجعل من مظاهر الحياة اليومية

مصدرًا للإلهام الشعري، مما يعزز العلاقة بين الشاعر وبيئته وتراثه.

أ الرمز الطبيعي جزء من البيئة المحلية:

يعد الرمز من أبرز الظواهر الفنية التي تعتمدها التجربة الشعرية الجزائرية بصفة عامة، وفي الاتجاه الجديد الحر بصفة خاصة

ففي مرحلة الثورة التحريرية كان يغلب على الشعراء استخدامهم لهذه الرموز التي توحي بالمقاومة، والنضال، والصراع، أو توحي بالاضطهاد والظلم والقهر.

فنجد شعراء المرحلة التحريرية مثلا، يرمزون إلى الشعب الجزائري المجاهد، بالنسر، والعملاق، والمارد، كما يرمزون إلى الاستعمار بالغول، والأخطبوط، والتنين والتمساح، والأصنام، والفئران، والعنكبوت، والغربان، وبالليل، والظلام، والدببة، والريح، والخفاش، وكل من شأنه أن يوحي بالمكر والخداع، والفظاعة والتقزز، والبشاعة والكراهية، بينما نجدهم في الوقت ذاته يرمزون إلى الحرية والانطلاق والمستقبل الواعد، بالقمر، والنور، والفجر، والشعاع، وما إليها من الألفاظ الموحية بالطمأنينة والرضى، والبهجة، والأمل(ناصر، 2006، صفحة 551).

والحق أن محمد الصالح باوية يعد من أبرز الشعراء الجزائريين، استيعابا لهذا الأسلوب في قصائده الحديثة، فهو لا يستخدم الرمز اللغوي على انه مفردات ذات دلالة لغوية محددة، وإنما يستخدمها لما توحي بها من ظلال خاصة: **" فهي تساعد على خلق الجو الرمزي الملائم الذي يجعل لهذه المفردات إيحاءات وظلالا تتجاوز بها معانيها القاموسية لتنقل لنا الإحساس بنوع من الحياة بأسره، واقعه وذكرياته، وتطلعه إلى المستقبل"**(باوية، 2008، صفحة 17)

أكثر الشاعر من توظيف الرمز الطبيعي وئوع في استخدامه بما يتلاءم مع حالته النفسية، فجاء

تعبيره الفني مقصودًا ومدروسًا؛ فقد استعمل الكوخ، والقبو، والغابة، والخيمة للتعبير عن مشاعر الأسى، والضياع، والألم، بينما وظف الكهوف، والسجن، والجبال، والسجون كرموز للتحدي، والتحفيز، والمقاومة.

لهذا يعتبر الرمز الطبيعي من أكثر الرموز حضورا في النصوص الشعرية الباوية، بل وقد كانت أغنيات نضالية الأكثر تمثلا لعنصر الطبيعة، ربما خدمة للاتجاه الرومانسي الذي يرتكز على الطبيعة بكل رموزها، مما يعكس البعد الإنساني للديوان، أو خدمة لتيمة الثورة التي لمسنا حضورها في المدونة، ليعلن من خلال عناصر الطبيعة أنها هي أيضا تنتفض وتثور لتحرير الجزائر بل وتشارك الثوار في مقاومتهم، أو ربما تأكيدا للهوية والتمسك بالأرض، باعتبار عناصر الطبيعة من المكونات المادية للأرض وجزءا من البيئة المحلية، كما اتخذ الشاعر من الرموز الطبيعية وسيلة فنية للتعبير عن بعض القيم كالاغتراب والألم والأسى...

ونحن بدورنا لم نستخرج كل الرموز التي تصب في حقل الطبيعة، بل قمنا بانتقاء أكثر الرموز الطبيعية تمثلا في الديوان وقد جاءت على النحو التالي:

❖ **الشيح:**

الشيح في البيئية الصحراوية يحمل دلالات قوية تتعلق بالصبر والتحمل، فهو نبات صحراوي قاسي قادر على العيش في ظروف قاسية، ولكنه يُستخدم أيضًا في الطب الشعبي كعلاج أو وقاية. في هذا السياق، يمكن أن يرمز الشيح إلى **الأمل أو الشفاء**، لكنه في القصيدة يتحول إلى رمز للمعاناة والألم، الشاعر يطلب من بائع الشيح أن ينتظر، وكأن هناك انتظارًا لتغيير أو شفاء، لكن الغول (الشر) يهدد بقتل هذا الأمل.(الديوان، صفحة 120)

يَا بائِعَ الشِّيحِ انْتَظِرْ
الغُولُ
يَغْتالُ بُدورَ الشِّيحِفِي دَفْقِ دَمِي

يُغْرِقُ أَحْبابِي
يُهِيلُ التُّرْبَ فِي مِلْءِ فَمِي
يَا بائِعَ الشِّيحِ
أَجُوبُ التِّيهَ عَنْ ذَرَّةِ شِيحِ
اسْقِ حَزِيناتِ الخُطَى قطْرَةَ سِرّ
أَعْرَجُ هٰذا العَامَ
وَالعالَمُ فِي هِبَةِ رِيحِ

يُخاطب الشاعر شخصية رمزية تحمل أملًا أو شفاءً (بائع الشيح)، ويعبر عن التعلق بالتراث المحلي والبحث عن العزاء في ما يرمز إليه الشيح من علاج أو راحة.

"أجوب التيه عن ذرة شيح" يشير إلى البحث المضني عن شيء صغير يمكن أن يمنح الشاعر الراحة أو الاستقرار في هذا العالم الموحش. البيئة الصحراوية هنا تصبح رمزًا لمجال لا يجد فيه الإنسان سوى الفراغ والضياع، وهو ما يعكس الصراع الداخلي للشاعر بين الأمل واليأس.

❖ **النخيل:** للنخيل مكانة عظيمة في خياة الشاعر الشخصية وفي سيرته الشعرية وقد استدعاها الشاعر أكثر من مرة ولعل أهم استدعاء لها والأكثر تمثلا في قوله (الديوان، صفحة 123):

يَا نَخْلَتِي

يَا لُطْفَةَ الحَيِّ

وَيَا أُمَّ الشَّجَرِ

ما عادَ لِي فِي العُمْقِ أَصْداءُ

جُذُوعُ النَّخْلِ فِي قلْبِي

بَقايا مِن حَفَرِ

يَا نَخْلَتِي

دُرّي بِي عَلَى غُصْنِكِ

مَغْروزَ القَدَمِ

عودِي إِلى قلْبِي

تُصوغِينَ المَعاناة

هذه الأبيات تعكس عمق العلاقة بين الشاعر محمد صالح باوية **والرمزية الثقافية** التي تجسدها **النخلة** في البيئة الصحراوية الجزائرية. حيث يتناول الشاعر من خلال هذه الأبيات **الارتباطالروحيو الوجدانيبينا لإنسانو الطبيعة الصحراوية، وبالأخص النخلة، التي تشكل رمزً اللثباتو الصمود**، فضلاً عن كونها عنصرًا من التراث الشعبي الجزائري.

الشاعر ينادي النخلة بعبارات مثل "يا نخلتي" و"يا نطفة الحي" ليبرز **الحيوية والخصوبة** التي تمثلها النخلة، في هذه الحالة، ليست مجرد شجرة، بل **رمزاللوجود**، حياة تُنبض في قلب الصحراء، ما يعكس العلاقة العميقة التي تربط الشاعر بجذوره الثقافية والبيئية.

النخلة في هذه الأبيات تُعبّر أيضًا عن **الأنينالداخلي** من جراحات الماضي، وعن **الرغبةفيالتجدّد** والعودة إلى الذات الأصلية من خلال **الارتباطبالطبيعةو البيئة الصحراوية.**

❖ الجبل كرمز للسيادة:

لفظة الجبل تركز على الوضعية الاجتماعية للمجاهدين في الجبل، والتي تؤكد أنها جيدة ، مما يؤكد مرة أخرى أن لفظة الجبل هو عنوان السيادة ورمز المقاومة الباسلة والاستقرار وهذا يعني أن معنويات الجيش على أحسن وجه، وأن هذا سيقود فعلا الى الانتصار

وترتبط بالجبل كلمات أخرى متداولة كثيرا مثل الكهف والغابة. كما: **" يمثل الجبل مكانا ثوريا منذ القديم، فهو يأوي الخارجين عن القانون، قانون القبيلة أو المدينة أو الاحتلال، للصعاليك والمعارضين والثائرين، مكان ذو أنساق هندسية متميزة (العلو، الاتساع، الانفتاح، البعد...) وهو ملائم لحاجات الوطن في الحرية والشموخ والعزة، ومناسب لمتطلبات الثورة في الحركة والامتداد والفاعلية** (رماني، الجزائر، صفحة 144)

ولعل أهم تمثل لرمز الجبل في الديوان كان في قول الشاعر(الديوان، صفحة 34):

فَتَيَاتِي هَا أَنَا أَزْحَفُ لِلْمَوْتِ بِقَلْبِي وَأَرَى الفَجْرَ طَوَانِي
مَدْفَعِي يَا خَلْجَةَ الشَّعْبِ دَعَانِي جَبَلُ الأَوْرَاسِ لِلثَّأْرِ دَعَانِي

جَبَلِي يَا جَبَلِي، هَاهِيَ أَشْلَائِي أَلْغَامٌ حَوَالِيكَ حَوَانِ

"جبل الأوراس" هو إشارة إلى منطقة الأوراس الشهيرة في الجزائر، التي كانت إحدى أبرز معاقل المقاومة خلال الثورة الجزائرية. تعتبر هذه المنطقة رمزًا للثوار والمجاهدين الذين استلهموا قوتهم من الطبيعة الجبلية، وهو مكان مهم في تاريخ الثورة حيث شهد العديد من المعارك والملاحم البطولية. بهذا المعنى، الجبل ليس مجرد مظهر طبيعي، بل هو رمز تاريخي معاني تاريخية عميقة تتعلق بموقعه الجغرافي ودوره في الثورة الجزائرية.

من خلال الجبل، يُستحضر صمود الشعب الجزائري وتضحياته في سبيل الاستقلال، فيصبح الجبل رمزًا للذاكرة الحية التي لا تموت.

لاحظنا غلبة حقل الطبيعة على الديوان، والأمر منطقي وطبيعي بحكم طبيعة الموضوعات أو التوجه الذي سلكه الشعراء في توظيفهم للرموز في هذه المرحلة: **«فقد أصبحت الرموز مستمدة من المعجم الذي يدور حول الأرض والزراعة وما يتصل بها من مثل هذه الألفاظ: الحبة، الغلة، الفأس، الواحة، النخل، المطر، الطين، الذرة، قطرة الماء، الغيمة، البذرة، المزرعة، الزيتون، التين، السنبلة، الكرمة، الطلع، الشيح**(ناصر، 2006، الصفحات 551-552)»

وتأكيدا لقول الباحث ﷺ ناصر قمنا بإحصاء الألفاظ التي تندرج ضمن معجم/ حقل الطبيعة وقد جاءت على النحو التالي:

- ✓ **قصيدة إنسانية الطريق:** الرعد، الرياح، الكوخ، اللهيب، سيول، الروابي، الحقول، شلال، الغابة، الصباح، الكهف، الساحة، الحقل، الفجر(الديوان، الصفحات 33-34).
- ✓ **قصيدة أغنية للرفاق:** الحقل الخصيب، اللهيب، ليل، الإعصار، نارا، رعد، الفجر، الريح، الوادي، السحب، كوخ، شهبا(الديوان، الصفحات 41-42).
- ✓ **قصيدة التحدي:** الأرض، الجو، البحر، الإعصار، عاصفات، أرضي، الأرض، الكون، المدى(الديوان، صفحة 45).
- ✓ **قصيدة ساعة الصفر:** الريح، جزيرة، كوخ، الفجر، الينابيع، عصافير، أرض، بالإعصار، نجوما، خندق، الأزهار، حقل، إكليلا، شمس، ليل، فجري، أصدافنا، النجم، فؤوسا، حقولا، ترابي، الشمس، الصبح، الأقمار، مروج، السنابل، الخمائل(الديوان، الصفحات 49-54).
- ✓ **قصيدة الإنسان الكبير:** السنابل، المحراث، السحب، بحر، أمطار، ربيع، كهوفي، حقولي، الأكواخ، الرياح، البرعم، الأدغال، الصباح، الأعشاب، نار، العاصفات، الأرض، العطر، الزهر(الديوان، الصفحات 57-58)

✓ **قصيدة أعماق:** العنكبوت، ليلا، ريحا، النهار، الضحى، الدجى، الشتاء، الجليد، الثلج، الكوخ، دخان، الأرض(الديوان، الصفحات 64-66).
ليلي، اللهيب، الليل، ليلتي، الأفق، السحب، سماء، كرمتي، سنابل، الحقل، اللهيب، مزرابي، محراثا، الإعصار، أعاصير، ماء(الديوان، الصفحات 68-70)غيما، النجوم، مروج، اعصارات، الكون، كهوف، ليل، رياحا، سيول، الشمس، الزهر، الطير، الحقول، بذورا، الأرض، الليل، الثلج، النهر، كرومي، الصخر، غربان، العصفور، العقبان، أكاليل، أعاصير، الغابة(الديوان، الصفحات 72-75).

✓ **قصيدة فدائية من المدينة:** بحار، تلال، الزهر، عصفورة، النار، أدغال، المطر، الجبل، الأرض، ريح(الديوان، الصفحات 79-80).

✓ **قصيدة الشاعر والقمر:** بدر، قمري، نجوم، الأرض، الخريف، الفلك، رياح، الموج، الشراع، الأقمار، الصباح، الشمس، النخيل، الواحة، الهلال، السواقي، النحل(الديوان، الصفحات 85-87).

✓ **قصيدة في الواحة شيء:** النخل، الواحة، الصحارى، الرمل، صحراء، الصقور، طين، شاطئ، نخلتين، سماء، طير، ثعابين، الرياح، أغصان، الشجرة، الريح، الخزامى، إعصار، جواد، القفار، الأمطار، الماء، التمرة، الجبل، الغيمة، البرعم، ليل، جناحك، ريشة(الديوان، الصفحات 91-98).

✓ **قصيدة رحلة المحراث:** البذرة، إعصار، البذور، نجمة، النسور، مزرعة، الطين، الغصن، حبة قمح، مزرعة، الشمس، غابة، مدخنة، الزيتونة، الأرض، التين، الزيتون، النخلة، أدغال، نور، رياح، نخل، ناقة، الشمس، الذرى، البرتقال، بحار، الجذع، الأغصان، السنبلة، طير، الليل، لوزة، كرمتي، الأقمار، أصداف، مطر، الشمس، زيتونة، الشجر، القمر، نجمة، النهر، المدى، سنبلة، الشاطئ(الديوان، الصفحات 102-114).

✓ **قصيدة الرحلة في الموت:** النخلة، بحار، شوك، ليل، الواحة، النخل، البوم، الطحلب، بحور،

الريح، زهور، أعشاب، القفار، القمر، الشيح، التمر، أفاعي(الديوان، الصفحات 117-123).

3) التّناصُّ الدِّينيُّ:

كان الشاعر محمد الصالح باوية، مثل غيره من الشعراء، يستلهم من القرآن الكريم لينسج نصوصه الشعرية؛ فالقرآن الكريم والسنة النبوية شكّلا مرجعيتين أساسيتين للشعر الجزائري، سواء في فترة الاحتلال أو خلال مرحلة الاستقلال. وذلك نابع من إيمان الشعب الجزائري المقاوم والشعراء الذين حملوا راية المقاومة، بأن الكفاح يستمد قدسيته من قدسية المرجعية الدينية للثورة، فقد اعتبر الجزائريون أن ثورة التحرير جهاد في سبيل الله ودفاع عن الأرض والعرض، مما منح الشعر الجزائري طابعاً روحياً وجهادياً في تعبيره عن النضال الوطني.

قد اقتبس الشاعر من القرآن الكريم تراكيبا وألفاظا وهو ما نجده في قوله: (الديوان، صفحة 107)

اقسِمُ بِالتِّينِ..

وَبِالزَّيْتُونِ..

مَثْنَى.. وَثُلاثَ

بِالنَّخْلَةِ الرَّاسِخَةِ العِلْمِ

بِطَيْرِ اللَّيْلِ مَحْزُونِ اللِّهَاةِ

قسِمُ بِالطِّينِ

هذا المقطع الشعري يبرز تفاعلاً قوياً مع الأسلوب القرآني من خلال استخدام صيغة القسم، حيث يقسم الشاعر بعناصر طبيعية وروحية مثل التين والزيتون والنخلة؛ يتجلى في هذا القسم إيقاع روحاني عميق،

يعكس ارتباط الشاعر بالمقدس وبالمعاني المرتبطة بالهوية والوجود. كما يظهر في النص رموز تحمل دلالات جمالية وعقائدية، مثل "النخلة الراسخة العلم" التي ترمز إلى الثبات والمعرفة، و"طير الليل محزون اللهاة" الذي يعبّر عن الألم والحزن، مما يعكس تجربة إنسانية تجمع بين الحزن والقوة.

لذا فقد تناص النص الشعري مع تراكيب قرآنية من سورة التين التي يقول فيها الله تعال:" والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين"(سورة التين الآية:1،2،3) حيث في هذه السورة يقسم الله بالتين والزيتون وهي رموز تشير إلى مواقع تاريخية مقدسة، حيث ترتبط هذه النباتات بهذه الأرض؛ الشاعر هنا يستعير هذا القسم ليضفي طابع القدسية على العناصر الطبيعية التي يقسم بها، مؤكدًا على رمزيتها الروحية والتاريخية..

كما أن القسم بـ "الطين" يشير إلى الإنسان وجذوره الترابية، حيث يذكرنا القرآن بأن الإنسان خلق من طين. هذا القسم يمثل تذكيرًا بالضعف والقوة الإنسانية في الوقت نفسه، ويعزز الترابط بين الأرض والبشر في رحلة الكفاح والمعاناة.

بجانب التراكيب القرآنية قد عثرنا في الديوان نفسه على مجموعة من الألفاظ المستوحاة من القرآن الكريم وهي كالتالي:(صومعة، الاسراء، زيتونة، القرآن، كوثر، الزيتونة، الله...)

خاتمة:

وفي ختامِ هذه الدراسةِ الموسومةِ بـ: "جماليات التناصّ والرمز في ديوانِ أغنيات نضالية للشاعر محمّد الصالح باوية" نخلصُ إلى مجموعةٍ من النتائج أهمّها:

- يتمتعُ التناصُّ بطبيعةٍ زئبقيةٍ نظرًا لتشعُّبِ مصطلحاتهِ، ممّا يجعلنا لا نستطيعُ أن نقبضَ على مصطلحٍ واحدٍ له أو مفهومٍ واضحٍ وصريحٍ له. ومن بين هذه

المصطلحاتِ: الحواريُة، التعالقاتُ النصيُة، النصُّ الغائبُ، النصُّ المفتوحُ، التفاعلُ النصيُّ...

- لا يمكنُ لأيّ شاعرٍ أن يتجاهلَ أو يتهربَ من قضيةِ التناصّ، لأنه وهو ينسجُ نصوصهُ يستحضرُ نصوصًا سابقًة ترسخث في الذاكرةِ، تصلُ في مراتٍ كثيرةٍ إلى استحضارٍ لا إرادي.
- ساهم الرمز الطبيعي في تكثيف التجربة الشعرية لدى الشاعر، حيث تجاوز بواسطته حدود اللغة التقليدية المألوفة إلى لغة إيحائية مكثفة، مما أتاح له التعبير عن تجربته بشكل أعمق وأكثر ثراء، وخلق نوعًا مميزًا من الشاعرية في نصوصه.
- الرمز يرتبط بشكل وثيق بالحالات النفسية، واستخدامه يعزز من شعرية النص، مما يجعل المعنى أكثر وضوحًا وقربًا للقارئ. كما يضفي على القصيدة طاقة فنية وجمالية إضافية، تساهم في تعميق تجربة القراءة وإثراء البنية الشعرية.
- جسّد الشاعر من خلال نصوصه تفاعلاً عميقاً مع الأحداث التاريخية العربية، مثل الوحدة بين مصر وسوريا، وأزمة قناة السويس؛ مما يعكس تأييد الشاعر للقومية العربية ودعمه لفكرة التضامن العربي لمواجهة الاستعمار والإمبريالية.
- أظهر الشاعر ارتباطه العميق بالتراث الصحراوي من خلال استحضار الرموز البيئية الصحراوية مثل النخلة، الكثبان الرملية، والجمل، الناقة، الشيح... هذا التناص يعزز من هوية الشاعر الثقافية والبيئية، ويجسد معاني الثبات في مواجهة الصعوبات.
- وظف الشاعر التناص مع القرآن الكريم مستلهمًا القوة الروحية والعدالة التي يقدمها النص القرآني. هذا التناص أضفى على النصوص بعدًا دينيًا، مما ربطها بالمرجعية الدينية للشعوب العربية وأعطاها عمقًا روحيًا.
- أسهم التفاعل بين التناصات القرآنية والتراث المحلي في تعزيز الرسالة النضالية للشاعر، حيث مزج بين الروحانية المستمدة من القرآن والقوة الثقافية المستمدة من التراث

الصحراوي، مما أضاف طابعًا مميزًا للنصوص وعمقًا في التعبير عن الهوية الوطنية والقومية.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابراهيم رماني. (الجزائر). *المدينة في الشعر العربي، الجزائر نموذجا (1925- 1962).* الطباعة الشعبية للجيش.

- ابراهيم مصطفى محمد الدهون. (الأردن2009). التناص في شعر المعري، أطروحة دكتوراه. كلية الآداب جامعة اليرموك.

- أحمد الزعبي. (2000). *التناص نظريا وتطبيقيا*. الأردن: مؤسسة عمون للنشر والتوزيع.

- عبد الاله بلقزيز. (2014). *نقد التراث*. لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

- عبد الخالق بوراس. (2023). تجليات التناص في الشعر الجزائري المعاصر: مقاربة تطبيقية في قصيدة نشيج البجع لعبد الحليم مخالفة. *مجلة القبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد7*(العدد 02).

- محمد الصالح باوية. (2008). *اغنيات نضالية*. الجزائر: موفم للنشر.

- محمد ناصر. (2006). *الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية*. بيروت: دار الغرب الاسلامي.